مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٩: ٦-١١)

يا إخوةُ إنَّ مَن يزرَعُ شحيحاً فشحيحاً أيضاً يحصُد ومَن يزرع بالبركاتِ فبالبركاتِ أيضاً يحصُد* كلُّ واحدٍ كما نوى في قلبه لا عن ابتئاسٍ أو اضطرارٍ. فإنَّ الله يحبُّ المُعطي المتهلِّل* واللهُ قادرٌ أن يزيدكم كلَّ نِعمةٍ حتى تكونَ لكم كلُّ كِفايةٍ كلَّ حينٍ في كلِّ شيءٍ فتزدادوا في كلِّ عملٍ صالحٍ* كما كُتب إنَّه بدَّد أعطى المساكينَ فبِرُّه يدومُ إلى الأبد* والذي يرزُقُ الزارعَ زرعاً وخُبزاً للقوتِ يرزُقُكم زرعَكم ويكثِّرُه ويزيدُ غِلالَ بِرِّكم* فتَستَغنونَ في كلِّ شيءٍ لكلِّ سَخاءٍ خالِصٍ يُنشئُ شُكراً لله.

حول الرسالة

«مَن يزرع شحيحاً فشحيحاً أيضاً يحصد. ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد».

لا أحد يزرع شحيحاً إن كان مؤمناً بما يفعل. فالزرع هو العطاء، ومَن يعرف أن أجر العطاء هو ملكوت السموات سوف يزرع بالبركات. أما ذاك الذي يزرع شحيحاً فهو يفعل ذلك ليتباهى أمام الناس.

الله لم يلزم أحداً بالعطاء، فالأرض وملؤها له. لذلك ينظر إلى القلب، إلى النوايا، وليس إلى العمل بحد ذاته، وهذا ما نراه في الإصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل. لم تكن لحنانيا وسفيرة رغبة في العطاء، لهذا عندما باعا حقلاً وأتيا بالمال ليضعاه عند أقدام الرسل كما جرت العادة بين المؤمنين، أخفيا جزءاً من المال لنفسيهما، فلم يقبل الرب عطيتهما رغم أنّهما قدّما ما لا بأس به، فوقعا صريعين. إذاً مَن يعطي ليُقال إنه كريم أو معطاء ينال شحيحاً، والشحيح هو إكرام ومديح الناس، بينما البركات تأتي من عند الله.

لا يعني الشحيح القليل. فالشحيح هو ما لا يأتي من القلب المحب، السخي. قد يعطي الغني الكثير قياساً بما يعطي الفقير، ومع ذلك يبقى عطاؤه شحيحاً لأنه يطلب مجد الناس عوض مجد الله، وبالمقابل قد يعطي الفقير القليل رغم عوزه، وهذا ما يقابله الله بالبركات.

من هنا قول الرسول بولس «إن الله يحب المعطي المتهلِّل». فالمعطي الحقّ لا يمكنه إلا أن يفرح، فهو يعطي بملء إرادته، ولا يطلب أجراً أرضياً، بحسب طلب الرب: «أما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تُعرِّف شمالك ما فعلت يمينك» (متى ٦: ٣).

العدد ٢٠١٢/٤١

الأحد ٧ تشرين الأول

تذكار الشهيدين سرجيوس وباخوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

التجارة مع الرب مربحة: نعطي القليل ونأخذ الكثير. نعطي ما يفنى لنأخذ ما لا يفنى. نعزّي بالقليل قلوب البؤساء فيعزينا الرب بالعزاء الأبدي. فقط علينا أن نعطي بسخاء، بلا ندامة، من كل القلب، مما أعطانا إيّاه الرب الإله. مهما كانت مواردنا محدودة، مهما كان ما نعطيه قليلاً، فبه نأخذ نعمة عظيمة، على غرار الأرملة التي لم تطرح في صندوق العطايا سوى فلسين.

في المقابل «الله قادر أن يزيدكم كلّ نعمة حتى تكون لكم كل كفاية

الإنجيل

(لو ٧: ١١-١٦)

في ذلك الزمان كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها ناين وكان كثيرون من تلاميذه وجمعٌ غفيرٌ منطلقينَ معه* فلمَّا قربَ من بابِ المدينةِ إذا ميِّتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّن عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعش! فوقف الحاملون. فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قُمْ* فاستوى الميِّتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمه إلى أمِّه* فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شعبهُ.

تأمل

...كلّ مَن يموت ظلماً يشبه القديسين، لأنّ معظم الذين أرضوا الله أُميتوا ظلماً وأوّلهم هابيل الذي لم يُقتل لأنه أخطأ إلى قايين بل لأنه كل حين في كل شيء فتزدادوا في كل عمل صالح» (٢ كور ٩: ٨). إستعمال كلمة إكتفاء أو كفاية ليس عشوائياً. فالله يعطينا كفاية لأنها أنسب لنا وربما لخلاصنا. فهو لا يشاء أن يعطي المؤمن الغنى في هذا الدهر، إذ قد يصبح تجربة كبيرة. لذلك قال الرسول بولس «فإن كان لنا قوتٌ وكسوة، فلنكتفِ بهما. وأمّا الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيّة ومضرّة، تغرق الناس في العطب والهلاك» (١ تيم ٦: ٨-٩). ويقول كاتب الأمثال «لا تعطني فقراً ولا غنى. أطعمني خبز فريضتي لئلا أشبع وأكفر وأقول مَن هو الرب. أو لئلا أفتقر وأسرق وأتّخذ إسم إلهي باطلاً» (أمثال ٣٠: ٨-٩). يعطي الرب الكفاية لقضاء الحاجة، وفي الوقت ذاته لكي لا نبطر وننزع عيوننا عنه «أعين الكل إياك تترجى وأنت تعطيهم طعامهم في حينه».

لكن ما هو العطاء؟ هل يقتصر على المال؟ بالطبع لا. اللطف والحنان والمحبة هي من أجمل العطاءات. ما أجمل أن ننظر إلى إخوتنا، إلى الذين يتألمون، إلى الذين هم بحاجة إلى الحنان، لبعض الإنتباه، إلى المتعبين، المثقلين بالخطايا، إلى مَن قسا الدهر عليهم، إلى المحتاجين إلى يد تمتد إليهم، إلى قلب يلهف عليهم، إلى قليل من الصبر على ما يمكن أن يكون مزعجاً فيهم. كلنا في الحقيقة قد نكون مصدراً للإزعاج والقلق والقرف، ولكن ما أقسانا على خطايا غيرنا، وما الطفنا على خطايانا! لو عذرنا قريبنا كما نعذر أنفسنا، لكانت الدنيا في ألف خير، ولكننا كلنا نصبح مثل أولئك الذين أرادوا رجم المرأة الخاطئة متناسين الخشبة التي في عيونهم.

أخيراً، يقول الرب يسوع على لسان متى الإنجيلي: «أنظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟ ... ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو! لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم: إنّه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور، يلبسه الله هكذا، أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟... لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن أطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تُزاد لكم» (متى ٦: ٢٦-٣٣). بعد قراءة هذا الكلام، كيف لنا نحن مدّعي الإيمان أن نجمع أموالنا في المصارف كما فعل ذاك الذي جمع أمواله في أهراءات فطلب الله نفسه في الليلة ذاتها، بدل أن نعطيها لمن نسي منذ زمن طويل الإحساس بالشبع؟!

في الصلاة

كثيراً ما نحاول أثناء صلاتنا أن نبرِّر تصرفاتنا التي لا يرضى عنها الله، أو نحاول إخفاء الأسباب الحقيقية لهذه التصرفات ودوافعها بحجج غير مقنعة، وكل ذلك يهدف إلى تقديم صورة مجمّلة عن واقعنا الحقيقي وإقناع الله بحالنا. كما نحاول في بعض الأحيان تبرير طلباتنا التي ستتضمنها صلواتنا إلى الله. كل هذا نفعله ونحن نعلم ان الله يعرف دواخلنا وخفايا

كرّم الله. وهل سمح الله لهذا القتل أن يحدث لأنه كان يحبّ هابيل أم لأنه كان يكرهه؟ واضح تماماً أنه كان يحبّه وأراد أن يقدّم له إكليلاً أكثر لمعاناً بسبب قتله ظلماً.

أترى أنك يجب ألا تخاف الموت ظلماً، بل أن تموت محمّلاً بالخطايا؟ مات هابيل ظلماً لكنّ قايين أمضى بقية حياته حاملاً لعنة الله، متأوّهاً ومرتجفاً دائماً. مَن من الإثنين مغبوط أكثر؟ ذاك الذي توقف عن العيش في الفضيلة أو هذا الذي عاش في الخطيئة؟ ذاك الذي مات ظلماً أو هذا الذي عُوقب بعدل؟

إذاً، يجب ألا نبكي على كلّ الذين ماتوا من دون تمييز، بل على أولئك الذين ماتوا ولديهم خطايا كثيرة لأنه بهم تليق الدموع والنحيب ولأنه لا رجاء لهم بعد إذ لم يعُد ممكناً أن يتطهّروا من خطاياهم. فهُم عندما كانوا في الحياة الحاضرة، كان هناك أمل بتوبتهم، لكن هناك حيث قلوبنا وأفكارنا.

السؤال الجدي هو: كيف يجب أن نقف أمام الله في الصلاة؟ الشرط الأول هو أن نكشف ذواتنا وأعماق أفكارنا ودواخل قلوبنا ومكنونات نفوسنا ببساطة وبصورة كلية أمام الله. بدون شفافيتنا الكاملة أمام الله، وبدون أن نسكب أمامه كل كياننا، رغم سيئاتنا وحقارتنا، لن نقف حقيقة أمام الله. ليس الموضوع جسارة بل انه اتضاع وانسحاق أمامه. اتضاع وانسحاق يحركان دواخلنا ويستجلبان رحمة الله علينا حتى نستحق المثول أمامه. إذاً المطلوب أن نقف أمام الله بصدق.

إذا استطعنا ذلك سنواجه سؤالاً آخر: «مَن هو الله الذي نحن واقفون أمامه»؟ كثيراً ما نريده أن يكون كما نرغب نحن أن يكون. نرسم له صورة كوّناها من خلال ما سمعناه عنه أو قرأناه، كأن نسكب عليه صفات كالرحمة والقوة والكمال والبهاء، وهذا كله صحيح ولكنها ليست الصورة الكاملة عنه إذ ننسى انه أيضاً الديّان العادل. فأحياناً نخاطبه مشدّدين على احدى صفاته وذلك بحسب الحالة التي نمرّ بها. وهذا الأمر بالغ الخطورة لأننا في هذه الحالة نكون نخاطب إلهاً من صِنْعِنا. الله وحده يُظهر لنا وجهه ويعلن عن حضوره بالشكل الذي يراه مناسباً. كم مرّة انتظرنا أن نراه مصلوباً فوجدنا القبر فارغاً؟ وكم مرّة اعتقدناه غاضباً علينا فوجدناه رحوماً؟ أو كم مرّة أكّدنا انه يشبه صورة عرفناه فيها في ماضينا، فنراه يفاجئنا بصورة جديدة نتعلّمها عنه. في الحقيقة نحن نأسر الله في أطر وظروف وكأننا نستدعيه ليكون مستمعاً إلى تفاهاتنا. المطلوب ان نكتشف بصبر كيف يكشف لنا وجهه وكيف يعبّر عن حضوره كما يشاء هو، حتى يتم اللقاء بين إنساننا الحقيقي والله الحقيقي وحده.

اللقاء بين الله والإنسان يجب أن يكون كما يلتقي شخصان حبيبان في حوار ومواجهة. يقول البعض اننا بالرغم من الوقت الطويل الذي نمضيه في الصلاة لا نشعر بالحضرة الإلهية، وغالباً ما نشعر ان الله قد أصّم آذانه عن السمع، فلا هو يعزي ولا هو يستجيب. هذا طبيعي إذا كنا في صلاتنا لا نتوقف عن الطلب والسؤال والكلام، فلا نترك لله مجالاً للتحدُّث معنا ولا تكون صلاتنا حواراً معه. الصمت هو مفتاح استجابة الله. في صمت العقل وهدأة القلب يتمتم الله كلمات تلهب قلوبنا وتثير عقولنا. إن لم نتعلم الصمت (صمت الفكر والقلب) فنطرح عنا كل الإهتمامات والمشاكل والطموحات وضوضاء العالم، لن نستطيع سماع الصوت الإلهي يحرّكنا.

أما عن استجابة الله لنا، فلا نعتقدنّ ان الاستجابة للصلاة الحارة تكون تنفيذاً إلهياً لرغباتنا بصورة سحرية. الله يعرف ما هو مفيد لنا وما نحن بحاجة إليه قبل ان نسأله، لكنه يختار المناسب لنا في الوقت والزمان المناسبين. مَن لا يعرف الصبر والمثابرة لن يعرف معنى الإستجابة الإلهية. المهم الثقة بالله الذي يعرف ما هو مناسب لنا ولخيرنا وخلاصنا. عدم استجابة الله في بعض الأحيان هو رحمة منه، لأننا قد نطلب ما ليس لخيرنا. وفي أحيانٍ أخرى هو امتحان لإيماننا وثباتنا على حبه والإخلاص له. فلنصلِّ دائماً قائلين:

ذهبوا، لا يحصل أحد على أيّ أمر بالتوبة. نعم لنبكِ عليهم ولكن ليس بطريقةٍ هستيرية وغير لائقة، وليس بشدّ شعر رؤوسنا وبتمزيق وجوهنا، أو بعويلٍ وصياح، بل بحشمةٍ تاركين الدموع تنساب بهدوء من أعيننا، وهذا يفيدنا نحن أيضاً لأننا عندما نحزن على الميت هكذا، سنحاول ألا نسقط نحن أيضاً في خطايا مماثلة. بشدّ الشعر والصراخ يُظلم الذهن، بينما الحزن الهادئ يحفظ صفاءه ويمكنه أن يفكّر في الموت بحكمةٍ وبشكل مفيد.

بهذه الطريقة، فكّر أنت أيضاً ليس فقط عندما يموت أحد معارفك، بل عندما ترى ميتاً مجهولاً يؤخذ بموكبٍ في الطرق إلى مثواه الأخير يرافقه أولاده اليتامى وأرملته، أقرباؤه وأصدقاؤه، وكلّ الباكين والمنكسرين. فكّر عندئذٍ في أنّ الحياة وأمورها العالمية ليست لها أيّ قيمة ولا تعدو أن تكون أضغاث أحلام وظلالاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لتكن مشيئتك لا مشيئتي. في هذا المجال يُحكى عن راهب يعيش في دير وقد أساء إليه أحد الأخوة، فقرّر أن يأخذ الثأر بنفسه. ذهب إلى رئيس الدير وأطلعه على ما هو مزمع أن يقوم به. حاول الرئيس ثنيه وإقناعه بأن الرب وحده يجازي في اليوم الأخير، إلاّ ان الراهب أصر على موقفه. أشار إليه الرئيس أن يدخل معه إلى الكنيسة للصلاة، وليس هناك أفضل من الصلاة الربانية في هذا المجال. ابتدأ الرئيس: «أبانا الذي في السموات ليتقدّس اسمك، ليأتِ ملكوتك»، لتكن مشيئتي كما في السماء... أوقفه الراهب قائلاً له: «لقد قلت مشيئتي بدل مشيئتك». اعتذر الرئيس وعاد للصلاة قائلاً أيضاً لتكن مشيئتي. أوقفه الراهب مجدداً، وتكرّر الأمر مرات عدّة. أخيراً قال له الرئيس: «ألم تفهم مقصدي بعد. إنك حين تصلّي الصلاة الربانية وتقول لتكن مشيئتك، أنت لا تقصد فعلاً لتكن مشيئة الرب، لأنك لو كنت تصلي من قلبك «لتكن مشيئتك» لما كنت ترغب بأخذ الثأر بنفسك، بل كنت تركت الأمر للرب». هكذا نحن كثيراً ما نصلي بشفاهنا «لتكن مشيئتك» ولكن قلوبنا لا تقصد ذلك.

قد يسأل البعض إذا كانت الصلاة لقاء وحواراً مع الله، أليس من الأفضل أن نخاطبه بكلمات من عندنا بدل استعمال كتب الصلوات؟ صحيح ان الصلاة لقاء مع الله نضع خلاله ذواتنا أمامه، كاشفين له كل شيء بكلمات بسيطة، إلا ان هذا لا ينفي ضرورة تلاوة صلوات وضعها أناس قديسون تمرسوا بالحياة في الحضرة الإلهية وكتبوا عصارة تجاربهم وخبراتهم ووصلوا إلى الملكوت. وبالتالي هذه الصلوات مفيدة لنا لأنها تعلّمنا الصلاة وتمنحنا قدرة التمييز بين ما نعتقده صلاة والصلاة الحقيقية. والمطلوب هو شيء من التواضع، ولنحاول تلاوة هذه الصلوات بتأنٍ وتركيز لنكتشف عمق معانيها فتنتعش حياتنا الروحية.

أخيراً، في الصلاة نستودع أنفسنا بين يدي الله، هو يحفظها بنعمته ورحمته فلا يختطفها الشرير، لأن الذي غلب الجحيم وحلّ عقالاته يختطفنا إليه في سحابة مجده لنغدو شركاء الملائكة والقديسين.

من أقوال الآباء

لا شيء يجعل حياتنا فرحة بقدر الفرح الذي نشعر به في الكنيسة. في الكنيسة يحافظ الفرحون على الفرح، وفي الكنيسة يحصل الحزانى على الرجاء الصالح والمتألّمون على البهجة، وفي الكنيسة يجد المعذّبون السكون والمتعبون الراحة. يقول الرب: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٨). ما المشتهى أكثر من هذا الصوت؟ وما الأجمل من هذه الدعوة؟ يدعوك الرب إلى الكنيسة لوليمة غنيّة، ينقلك من التعب إلى الراحة ومن العذاب إلى الأمان، ويحرّرك من عبء خطاياك، ويشفي الضيق بالسرور والألم بالفرح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb